المحاضرة التاسعة:

جماعة الديوان

قبل البدء بهذه المدرسة لابد من الإشارة الى أن هذه المدرسة تنتمي إلى المذهب الرومانسي نسبة إلى رومان التي تعني في العصور الوسطى حكاية المغامرات شعرا أو نثرا، والرومان أو الرومانث هي القصة الخيالية المحملة بمضامين الفروسية والبطولة المثالية والعاطفة والخيال الجامح وتصوير الطبيعة ،ظهر هذا المصطلح في المانيا في القرن الثاني عشر ويعني معاني كثيرة من ضمنها الخروج عن المعايير المتعارف عليها أو هو الأدب المكتوب بلغات محلية غير اللغات القديمة (الفرنسية ،الايطالية والاسبانية).

أما الرومانسية فتعني اتجاه فني في الادب يتميز بطغيان العاطفة على العقل وهو اصطلاح شامل لعدد من الاتجاهات نحو التغيير ومخالفة الادب الكلاسيكي نشأت في أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر .

عوامل نشوء المذهب الرومانسي :

أ: العامل الاجتماعي : اقترن ظهور الرومانسية بأحداث كبيرة كالثورة البرجوازية ،والحروب النابليونية ،وما أعقبها من حركات تحرر قومية مما أدى الى إحداث التغيرات ولا سيما في المجالين الفكري والأدبي.

ب:العامل التنويري : إذ لعبت الحركة التنويرية دورا مهما في تطور الحياة الاجتماعية والفكرية في البلدان الغربية في القرن الثامن عشر وكان لها آثار على مختلف نواحي الحياة ولاسيما الثقافية وتمثلت في الهروب من القيود الكلاسيكية (الملك –الاقطاع – الكنيسة –التخلف –التقليد).

ج: العامل القومي : من خلال ظهور الوعي القومي الذي اقترن بقيام الثورة الفرنسية مما لفت انتباه الشعوب إلى النضال من أجل حريتها.

د: العامل الأدبي: المتمثل بكتابات جان جاك روسو فكانت روح الرومانسية تسري في أغلب مؤلفاته ولاسيما(أميل –الاعترافات).

خصائص المذهب الرومانسي :

1. هو أدب فردي يعنى بمشاعر الإنسان و يسعى إلى تحقيق المبادئ التي تسمو به إلى الحرية و السعادة ويدعو إلى الحرية في الفن والسياسة والأدب والاجتماع

2.يسعى إلى هدم القديم .ومن ذلك (الخروج عن قانون الوحدات الثلاث- والجمع بين الأنواع الأدبية المختلفة- وتجسيد مناظر القتل) المحرمة في الأدب الكلاسيكي.

3.استلهام العاطفة والخضوع لها وتفضيلها على العقل والإمعان في الخيال وتقديمه على العقل والتحليل النقدي والهروب من الواقع إلى الحلم .

4. البساطة في التعبير والعودة إلى الاجواء الشعبية المحلية والعزوف عن الأدبين الإغريقي والروماني والاهتمام بأدب القرون الوسطى وملاحم شمال أوربا وتصوير الخاص بدلا من العام .

5.سلوك طريق الفطرة والطبع الصادق والعودة إلى الطبيعة واتخاذها اطارا للمشاهد القصصية وموضوعا موحدا للقصائد الشعرية وإبراز العلاقة التفاعلية بين الإنسان والطبيعة .

6. التمسك بالتوراة والانجيل واعتبارهما مصادر مهمة للأديب الرومانسي بدلا من الأدب الكلاسيكي .

7.الابتعاد عن التكلف والعزوف عن اللغة الكلاسيكية المتعالية الفخمة الجزلة المتصنعة الدقيقة والنزول بالأدب إلى اللغة المحلية.

أما عن أعلام الرومانسية فهم (فكتور هيجو – شيلي –بايرون – غوته).

<u>أما عن الرومانسية في الأدب العربي</u> : فهي مذهبٌ أدبيٌّ يهتمّ بالنفس الإنسانيّة وما تزخر به من عواطفَ ومشاعرَ وأخيلةٍ أيًا كانت طبيعة صاحبها، مؤمنًا كان أم ملحدًا، مع فصل الأدب عن الأخلاق، ولذا يتّصف هذا المذهب بالسهولة في التعبير والتفكير، وإطلاق النفس على سجيّتها، والاستجابة لأهوائها، وهو مذهب متحرّر من قيود العقل والواقعيّة اللذيْن يظهران لدى المذهب الأدبي الكلاس، وقد دخلت الرومانسية إلى الأدب العربي على شكل مذهب نقدي نظري، وقد لقيَ قَبولًا عند العرب، فقد استطاعوا من خلاله التعبير عن رفضهم للظلم الواقع عليهم، كما استطاعوا أن يعبّروا عمّا في أنفسهم من حزن وتمزّق نتيجة الحال التي يعيشونها، وقد تأسّست جماعات ومدارس في ظلّ المذهب الرومانسي في الأدب العربي أهمّها:(جماعة الديوان- وجماعة أبولو - وجماعة المهجر).

<u>عوامل مؤثرة في تطور الشعر :</u>

على الرغم مما قدمه شعراء الأحياء وشعراء الاعتدال من جديد في مجال القصيدة الحديثة إلا أنهم ظلوا مشدودين إلى جذور القصيدة القديمة في موضوعاتها و أساليبها و معانيها و صورها، و السبب في ذلك هو أن مفهوم الشعر ووظيفته لديهم بقي إلى حد بعيد لا يغادر مفهومه القديم حتى فيما جددوا من موضوعات و سلكوا من أجناس أدبية كما حصل لشوقي، وكان أهم شيء لديهم التجديد في الأساليب و اللغة كما أرادوا التحرر من قيود الوزن و القافية و اخترعوا الرواية و المسرح والقصة .

أما عن أهم العوامل التي أدت إلى ظهور هذا التيار فهي على النحو الآتي :

1 – كان جيل جماعة الديوان جيل وعى الشعر ومفهومه ووظيفته، فاتجهوا إلى تجسيد الطابع الإنساني في أشعارهم و لم يكن شعرهم وقفاً على الأمراء و القادة و الحكام، فظهرت في أشعارهم تيارات متعددة تنحو نحو اتجاهات تأملية فلسفية ووصف الطبيعة فضلاً عن التيار العاطفي و الرومانسي .

2 – تأثرهم بالتيار الرومانتيكي و لاسيما الإنكليزي لأن أغلبهم قد سافروا إلى بلاد الغرب و تعلموا هناك فأرادوا نقل مظاهر الحضارة إلى الأدب .

3- تدفق الصحف الأوربية التي حوت كل جديد في الأدب و السياسة و الاجتماع و النظريات الفلسفية و المذاهب الأدبية .

4- شيوع حركة الترجمة التي نهضت على يد رفاعة الطهطاوي ، فتم ترجمة المئات من القصص الغربي وكتب النقد. كما ترجم من الشعر أثار عديدة لأقطاب التيار الرومانتيكي و الرمزي من أمثال فكتور هوجو / لامرتين / دي موسيه / بودلير .و قد أهتمت الصحف والمجلات بترجمة الأثار الشعرية على صفحاتها ،ولاسيما آثار شكسبير و بيرون و كيتس و شيلي و وردزورث فترجم خليل مطران لشكسبير (هاملت و مكبث و تاجر البندقية و الملك لير)، و ترجم علي محمود طه لشيلي كتابه (أرواح شاردة)، وترجم العقاد لتوماس هاردي كتابه (ساعات بين الكتب) و غيرها كثير، و هكذا تصبح كتب الأدب و النقد و المسرح والرواية في متناول الأيدي و تعطي ثمارها الناضجة في عملية التأثير .

5- أثر البعثات ودورها الفاعل في تطور الأدب .

6- و قد كان للمذاهب الأدبية الأوربية التي غزت رياحها الوطن العربي منذ نهاية القرن التاسع عشر تأثيراً شديداً في شعراء هذا الجيل أولاً لأنه ينسجم مع طبيعتهم التواقة لكل جديد وينسجم مع نفوسهم الآسية التي اكتوت بنار الواقع المرير السياسي والاجتماعي والفكري .

و قد تهيأ لهؤلاء أن المذهب الرومانتيكي بالذات هو الذي يحقق ما يدعون إليه من **أدب ابتداعي** يخاصمون به **الأدب الاتباعي** و قرّ في أذهانهم أن هذا المذهب جاء تعبراً عن المفاهيم المعاصرة للطبقات المتطلعة إلى الحياة الجديدة و هي الطبقة الوسطى(البرجوازية) التي صاروا يعبرون عن مضامينها في شعرهم .

تعريف الأدب الابتداعي : هو الأدب الذي يسعى إلى هدم القديم ، و هو أدب فردي يعنى بمشاعر الانسان و يسعى إلى تحقيق المبادئ التي تسمو به إلى الحرية والسعادة و الإمعان في الخيال و البساطة في التعبير و الابتعاد عن التكلف اقترن بجماعة الديوان الذين تأثروا بالمذهب الرومانتيكي .تتألف جماعة الديوان من عباس محمود العقاد ،عبدالرحمن شكري ،إبراهيم عبدالقادر المازني.

عانى شعراء الديوان من ضيق ذات يدهم وفقرهم بينما يتفوق عليهم أبناء الطبقة الخاصة بأموالهم ممن لا يمتلكون ما يمتلكه الشعراء من مواهب وقدرات ومن هنا أكثروا من الشكوى في شعرهم و ذاقوا ذرعاً بالحياة وبالمجتمع الذي أهملهم فأنطبع شعرهم على الشكوى حيناً و التمرد أحياناً و انعكس ذلك غناءً شجياً أو ثورة عارمة على الدنيا وما فيها و انتهى بهم ذلك أحياناً إلى طلب الموت .

ناقشي العبارة الآتية: (إذا كان التأثر بالأدب الأوربي يحتل مركز الصدارة بين العوامل الأخرى فهذا لا يعني أن جماعة الديوان قد قلّدت ذلك الأدب).

لقد أفادت جماعة الديوان من الأدب الأوربي و اهتدت بضيائه، و قد ألمح إلى ذلك ناقد الجماعة الأولى عباس محمود العقاد حين أشار إلى تأثر جماعة الديوان بالشعراء والنقاد الأوربيين ورأى أن هذا التأثر لا يعني التقليد بقدر ما يعني الاهتداء ،وذلك حين قال: **(و قد سرى من روح هؤلاء – يعني الأدباء الإنكليز – الشيء الكثير إلى الشعراء المصرين الذين نشأوا بعد شوقي وزملائه ولكنه كان سريان التشابه في المزاج ، و اتجاه العصر كله و لم يكن تشابه التقليد و الفناء ، أو هو سريان جاء من تشابه في فهم رسالة الشعر والأدب لا من تشابه فيما عدا ذلك من تفصيل).** و يبدوا أن شعراء الديوان قد أفادوا من كتاب **الكنز الذهبي:وهو مجموعة مختارات من الشعر الغنائي الإنكليزي تحتوي على قصائد وجدانية ذاتية،** ويتضح تأثيرها فيما ترجمه المازني منها في مطلع الجزء الثاني من ديوانه كما اعتمدته جماعة أبولو أيضاً.

تلك هي العوامل الرئيسة التي أدت إلى الدعوة للتجديد عند جماعة الديوان و هي عوامل يتفاوت تأثيرها، إذ يتصل بعضها بالشعراء أنفسهم ، في حين يتصل البعض الآخر بظروفهم والتيارات الفكرية والسياسية والمذاهب الأدبية والنقدية وهذه العوامل مجتمعة قد تفاعلت لتدفع بهم **إلى المناداة بالدعوة إلى تجديد الشعر** في ظل مفاهيم نقدية جديدة ربما فاقت في روعتها و قيمتها معظم ما انتجوه من شعر .

<u>دواعي النشأة :</u>

لم يكن قيام جماعة الديوان محض صدفة بل كان ضرورة اقتضاها تغيير صورة الأدب والشعر الذي ظل لدى شوقي وجماعته يستمد أصوله من القديم بعيداً عما كان يجري حوله من تيارات شعرية ومذاهب أدبية ونقدية ، وفي ظل هذا التصور للشعر العربي التقى العقاد بالمازني الذي تخرج من مدرسة المعلمين العليا عام 1999م ، و التقى بشكري الذي عاد من إنكلترا واجتمع الثلاثة ليكونوا هذه الشركة الأدبية .

<u>ما أصدره جماعة الديوان:</u> أصدر جماعة الديوان العديد من الدواوين الشعرية أهمها ضوء الفجر ،وأزهار الخريف لعبدالرحمن شكري ، ويقظة الصباح ، ووهج الظهيرة ، وأشباح الأصيل ، ووحي الأربعين ، وعابر سبيل لعباس محمود العقاد .وديوانين للمازني، وكتاب الديوان في الأدب والنقد سنة 1921م المازني والعقاد . يكفي أن يلقي الدارس نظرة سريعة على أسماء هذه الدواوين وغيرها كدعاء الكروان و يقظة الصباح وعناوين قصائدهم كموارد الحب، والموت وشقوة العيش ،و خواطر الأرق، ومرحباً بالأقدار وغيرها، ليستدل على اليأس و الضياع والنظرة السوداوية القاتمة التي انطبعوا عليها .

<u>ما الذي نادت به جماعة الديون :</u>

لقد أحدث قيام جماعة الديوان ، وفي أعقابه شعراء المهجر هزة قوية في مجال الشعر والنقد لأنها :

1 – نادت بتجديد شكل القصيدة .

2 – تجاوزت في تجديدها إلى محتوى القصيدة الفكري .

3 – هجر الموضوعات القديمة ومعانيها المستمدة من بيئاتها الخاصة .

4 – نادت بالبعد عن الأخيلة والصور القديمة .

5 – وهذا المضمون الجديد لا يلغي تماماً المضامين القديمة، ولكنه يحقق لنفسه انسجاماً مع روح العصر و تفكيره و صور الحياة فيه .

6 – نادت بتغير الصور والأساليب .

7 – كان من نتائج دعوتهم ظهور القصة والمسرحية والمقالة .

8 – تلونت أفكار قصائدهم بألوان من الفلسفة والتاريخ والمنطق حتى صارت قصائدهم تمتد إلى جذور تلك الثقافات لتستمد منها قيماً جديدة وأفكاراً عميقة .

أهم ما يميز جماعة الديوان :

1 – الشعرعندهم يواكب الحاضر و ليس أسيراً للماضي .

2 – التعبير عن النفس لا بمعناها الخاص وإنما بمعناها الإنساني العام .

3 – الشعر تعبير عن الطبيعة .

4 – التجديد بالأوزان .

5 – ابتداع الشعر المزدوج .

ملامح التجديد :

أكبر الظن أن شعراء الديوان قد تأثروا في مضامين شعرهم بالشعراء بالرومانتيكيين الذين استسلموا لأحلامهم و انقادوا لذواتهم التي طوتها الأحداث الكبار في مطلع القرن التاسع عشر و على هذا جرى شعراء الديوان الذين قرأوا لشعراء البحيرات و شعراء النبوءة والمجاز و من جاء بعدهم .و من يطالع دواوينهم يجد قصائدهم لا تخرج عن هذه الموضوعات فهي لدى شكري تفصح عما ينتاب نفسه من رجاء و فوز وفشل ويقين وشك وحب وكراهية وحزن وفرح واستقرار و خلق وكل ما يتصل بهذا من انفعال وتأثر وهي لدى العقاد و المازني لا تخرج عن هذه الأشياء، لقد عبر شعراء الديوان عن موضوعاتهم بالإحساس الحاد والشعور الصادق ولكنه إحساس وشعور مسيطر عليه يأس شديد وتشاؤم عميق يفيض بالأنين و الشكوى من قسوة الحياة و ظلم الناس ،وربما ينتهي هذا الإحساس الحاد بالألم إلى حالة نفسية

يطلق عليها الدارسون (مرض العصر) :وهي ظاهرة ارتبطت بالشعر الرومانتيكي الأوربي . لنستمع إلى العقاد في قصيدته (حظ الشعراء) كيف يصور حالته وحال أمثاله الذين ضاقت بهم الحياة فأضنى العذاب نفوسهم وبعدوا عن الدنيا و بهرجها فهم ضائعون تائهون لا يملكون سلاحاً يذودون به عن أنفسهم (حفظ 3 أبيات)

ملوك فأما حالهم فعبيد وطير ولكن الحدود تعود

أقاموا على متن السحاب فأرضهم بعيد و أقطار السماء بعيد

وأقصى مناه في الحياة نهاره وأدنى مناه في الممات خلود

إذا عاش في بأسائه فهو ميت و إن مات عاش الدهر وهو شهيد

يصور العقاد حاله وحال باقي الشعراء فهم ملوك بشعرهم عبيد بحالهم المادي الضعيف وأن أقل ما يتمناه هو التخليد بالشعر فإن عاش في بؤس فهو ميت و لكن إن أماته الدهر فهو شهيد ، فنجد استعمال صور متضادة و متقابلة ونجد الطباق في قوله : (أقصى ، أدنى / الحياة ، الممات /عاش ، مات) و يحمل البيت الأخير بين طياته مقابلة و القصيدة تمتلئ بهذه الصور التي يتطلع فيها العقاد إلى حياة المجد والخلود إلا أنه لا يجني من حياته سوى البؤس والشقاء و الإحساس بالعسف .

و لم يكن المازني أقل إحساساً من العقاد بهذه الأزمة النفسية لنستمع إليه وهو يرثي نفسه ، مجسدا شعوره بالأسى و الضياع والتشرد فيقول :(حفظ 3 أبيات)

قضى غير مأسوف عليه من الورى فتى غره في العيش نظم القصائد

فعاش و ما واساه في العيش واحد ومات و لم يحفل به غير واحد

ولم يبكيه إذ مات إلا أجيرة لها زفرة لولا اللهى لم تصاعد

فلا دمع روى يوم ولى ترابه وكيف يروي تربه غير واحد

المعاني: قضى – مات / أجيرة – خادمة / الورى – الناس / اللهى – اللهاة

<u>اتجاهات جماعة الديوان :</u>

<u>أولا : الاتجاه العاطفي (الرومانسي الحزين)</u>

هذا الاتجاه العاطفي يتخلله الحزن و يمتزج بالفكرة الفلسفية وهذا ما نلحظه لدى العقاد، إذ الموت لديه راحة تقترن بالفناء ، فيقول(حفظ 3أبيات)

اذا شيعوني يوم تقضى منيتي و قالوا أراح الله ذاك المعذبا

فلا تحملوني صامتين إلى الثرى فإني أخاف اللحد أن يتهيبا

وغنوا فإن الموتَ كأس شهية ومازال يحلو أن يغنى و يشربا

و لا تذكروني بالبكاء وإنما أعيدوا على سمعي القصيد فاطربا

وقد سعت جماعة الديوان إلى تأكيد هذا الاتجاه العاطفي وهو اتجاه أصيل في شعرهم لأنه يؤكد صدقهم الشعوري في الحب الذي طالما سعوا إلى تحقيقه ، ولم يفلحوا فيه مما شكل ظاهرة من أبرز ظواهر شعرنا الحديث فحبهم يرتفع إلى أسمى غايات العشق و ينأى عن كل ما يلوثه من متاع الجسد و الشهوة. و تمثل قصيدة (الحب والمجد) للعقاد هذا الاتجاه ،إذ يشكل الاتجاه العاطفي لدى العقاد ظاهرة بارزة في شعره على الرغم مما عرف عنه من جبروت و غلظة، فإذا هو في قصائد الحب أليف وديع يخضع لنداء حبيبته في رقة نادرة تنم عن إحساس يفيض بالحب الصادق و الشعور الرقيق ، و تمثل قصيدته (قولي مع السلامة) هذا الاتجاه العاطفي خير تمثيل كما تمثل قصيدته التي رثى بها كلبه (بيجو) الأبعاد الإنسانية التي تتسع لها عاطفته الصادقة .

ثانيا : الاتجاه التأملي والفلسفي

هذا الاتجاه يغور إلى الأعماق بحثاً عن حقيقة الحياة والموت و سعياً إلى اكتشاف المجهول وأسرار الطبيعة و بواطنها، وتعكس قصيدة العقاد (أين الحقيقة) هذا الاتجاه الفلسفي التأملي : (حفظ)

أين الحقيقة لا حقيقة كل ما زعموا خيال

الناس غرقى في الهوى لم ينجُ غرٌّ أو إمام

المعاني : غر – شاب ، امام – شيخ متمسك بدينه

و العقاد في هذه القصيدة ينزع نزعة تأملية وفلسفية شاكة يثور فيها على الدنيا كلها، و هي تعكس ما ينتاب نفسه من تساؤل عن الخلق ، والكون ، والحياة ، و الطبيعة .

ثالثا : الاتجاه الوصفي

من الاتجاهات الأصيلة التي عبر بها شعراء الديوان عن نفوسهم الآسية و مشاعرهم الحزينة و أحاسيسهم الدافقة ، إذ يقف وصف الطبيعة في مقدمة هذا الاتجاه، و فيه يخلعون على الطبيعة أحزانهم و أحلامهم الضائعة و ربما خرجوا بتولياداتهم العقلية . يقول عبدالرحمن شكري في قصيدة (إلى الريح) : (حفظ)

يا ريح يا صفو نفس طالما شقيت قد خان نفسي أحبابي و أنصاري

أشكو إليك هموم العيش قاطبة شكوى الضعيف لبادِ البطش مغوار

لا تسأليني عن الحادي و حكمته و لا تنوحين من صولاتِ أقدار